

Uses and Abuses of the Resumptive Verb in Modern Arabic News Exposition

الفعل الاستئنافي: محاسنه ومساوئه في إنشاء الخبر العربي

بقلم علي درويش

تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠٦

تلجأ اللغة في بعض الأحيان إلى اعتماد أساليب مشروعة تعالج ضعف التسلسل والحبكة والتماسك والترابط في الجمل المعقدة والمركبة أو المترابطة، لاسيما في المرتجل من الكلام، بحيث تستعيد الربط بين أجزائها الرئيسة بما يكفل حسن البيان ووضوح المعاني. ومن هذه الأساليب ما نسميه هنا بالإضراب الاستئنافي و(أدواته الاستئنافية) أو (المستأنفات) اختصاراً، أو (resumptives) في الإنجليزية. وتشتمل هذه المستأنفات على الاسم الاستئنافي، والفعل الاستئنافي، والضمير الاستئنافي، والإشارة الاستئنافية. وقد سميناها كذلك لأنها تستأنف الكلام بعد الإضراب عنه لتباعد أجزائه الرئيسة بسبب الحشو والإطناب والالتفاف والاستطراد والاسترسال في الكلام. والإضراب هنا يختلف قليلاً من حيث الأدوات والوظيفة عن المعنى المألوف في النحو من إضراب إبطالي وإضراب انتقالي يعتمد حرف الإضراب (بل) وأخواته، نحو (جاءت زينب بل سعاد). وهو ظاهرة طبيعية سليمة في اللغة العربية تضمن سلاسة الإضراب والانتقال من فكرة إلى أخرى وجزء إلى آخر في الكلام المرتجل دون تعثر واضطراب.

أما ما نعرض له هنا، فهو ضرب آخر طارئ على اللغة العربية في الأزمنة المتأخرة بسبب التأثير الشديد الملتبس باللغات الأجنبية، لاسيما اللغة الإنجليزية، وبخاصة في الصحافة والإعلام العربي وأشكاله الحرفية في النقل والترجمة والتعريب. كانت نشأته في اللغة العربية في الإنشاء المكتوب في الصحافة المطبوعة، ثم تجاوزها إلى الإعلام المرئي والمسموع. ولم تعرفه اللغة العربية المحكية إطلاقاً، بل تلجأ اللغة بشقيها العامي والفصيح إلى طرائق مختلفة تتميز بالطلاوة والسلاسة وحسن الانتقال. ونطلق على هذا النوع المستحدث الشاذ في العربية المعاصرة

¹ أنجزت في ١٩ تشرين الثاني ٢٠٠٦.

الإنشائية المكتوبة المنطوقة مصطلح (الإضراب الاستثنائي). ونحدد هنا نوعين من الإضراب الاستثنائي: الإضراب الاستثنائي الاسمي والإضراب الاستثنائي الفعلي.

وظيفة الإضراب الاستثنائي ومستأنفاته² في اللغة هي ضبط تسلسل الكلام وترتيبه وتبينه وضمان تماسكه وتعاطفه. والتعاطف في النحو هو ترابط الكلام بعضاً ببعض وتراسه. ويتألف الإضراب الاستثنائي من جزأين أساسيين، الجزء المقطوع والجزء المستأنف. فإذا كان الإضراب الاستثنائي اسمياً (أي إذا بدأت جملة باسم)، سمينا الجزء الأول الرئيس منه بالاسم المقطوع (interrupted noun) والجزء المستأنف منه بالاسم الاستثنائي. أما إذا كان الإضراب الاستثنائي فعلياً (أي بدأت جملة بفعل)، سمينا الجزء الأول الرئيس منه بالفعل المقطوع (interrupted verb) والجزء المستأنف منه بالفعل الاستثنائي (resumptive verb).

والاسم الاستثنائي (resumptive noun) هو اسم يتكرر بعد الإضراب عن تكملة الجملة. وقد يأتي لفظاً مفرداً، أو مركباً من نعت ومنعوت أو مضاف ومضاف إليه، أو مصدرأ مؤولاً. فلنتأمل المقطع الآتي:

سوف أتقدم بطلب تعديل للمادة ٧٦ ضمن ما أتقدم به لمجالسنا
النيابية من مقترحات التعديلات الدستورية - تعديل جديد يستكمل
تحقيق مقاصد وغايات تعديل العام الماضي، يستشرف ما تكون
عليه أحزابنا السياسية في المستقبل ولا يتوقف عند واقعها الراهن.

نجد هنا أن الكاتب اعتمد الاسم الاستثنائي في لفظ (تعديل) حرصاً منه على ترابط الكلام وتماسك أجزائه. فقد كان بإمكانه بكل بساطة أن يقول:

سوف أتقدم بطلب تعديل جديد للمادة ٧٦ ضمن ما أتقدم به
لمجالسنا النيابية من مقترحات التعديلات الدستورية، يستكمل
تحقيق مقاصد وغايات تعديل العام الماضي، يستشرف ما تكون
عليه أحزابنا السياسية في المستقبل ولا يتوقف عند واقعها الراهن

ولكنه أضرب عن إكمال الجملة على هذا النحو لأنّ فيها إطالةً بين الاسم (تعديل) والفعل (يستكمل)، ضمن شروط ومستلزمات الخطاب والإلقاء، واستأنف الجملة بعد الإضراب بتكرار الاسم (تعديل) وزيادة نعت عليه (جديد)، فعزز الكلام وأضفى عليه شيئاً من الجدة والقوة والرونق وجنبه البتر والقطع المفاجئ. ولا ريب أن هذا الأسلوب هو بتأثير المترجم من الكلام

² تختلف عن الجملة الاستثنائية التي لا محل لها من الإعراب الواقعة في أثناء النطق والمقطوعة عما قبلها، نحو: يا سعيد! اجتهد في دروسك. فجملة (اجتهد في دروسك) استثنائية تامة.

والتأثر بأساليب اللغة الإنجليزية الإلصاقية. والأسلوب الطبيعي في العربية هو إدخال الضمير (هو) مع واو العطف على هذا النحو، دون إلصاق:

سوف أتقدم بطلب تعديل للمادة ٧٦ ضمن ما أتقدم به لمجالسنا
النيابية من مقترحات التعديلات الدستورية، وهو تعديل جديد
يستكمل تحقيق مقاصد وغايات تعديل العام الماضي...

أو تكرار الاسم منصوباً إما على التمييز أو الحالية أو الفعل المطلق لفعل أو مصدر مؤول، الخ،
نحو:

سوف أتقدم بطلب تعديل للمادة ٧٦ ضمن ما أتقدم به لمجالسنا
النيابية من مقترحات التعديلات الدستورية، تعديلاً جديداً يستكمل
تحقيق مقاصد وغايات تعديل العام الماضي...

ولكننا لو تعقبنا مصادر التأثير الأجنبي لوقفنا على الآتي:

I will make a submission for the amendment of Article 76 among
my submissions to our parliamentary councils [committees] for
constitutional amendments — a new amendment that will fulfil
the goals and objectives of last year's amendment.

وهكذا، نجد أن النص العربي متأثر إلى درجة كبيرة بالأسلوب الإنجليزي، إن لم يكن مترجماً عنه
ترجمة مباشرة علي يد أحد الاستشاريين. ونجد هنا كيف تصرف المترجم في نقل (fulfil) إلى
العربية بجملة (يستكمل تحقيق)، وهو ضرب من النشر والتوسع في الترجمة، فقد رأى المترجم
أن لفظ (تحقيق) مقابل (fulfil) لا يؤدي المعنى الكامل، فعمد إلى نقله كما سبق. والأرجح أن
التعبير في النص الإنجليزي هو (to bring to fulfilment)، وهو ما انعكس في العربية على هذا
النحو (يستكمل تحقيق...). وهو دليل آخر على تأثر الكاتب متأثراً مباشراً بالأنماط الشكلية للغة
الإنجليزية، سواءً أكان ذلك في نقل النصوص أم في وضعها بعقول وأطر ذهنية وفكرية أجنبية.

أما الفعل الاستئنافي (resumptive verb)، فهو تكرار الفعل الرئيس في جملة فعلية قبل اكتمال
الجملة بغية استئنافها بعد الإضراب عنها للأسباب ذاتها، استدراكاً. فلنتأمل المثال الآتي:

قال الرئيس الأميركي جورج بوش في مقابلة تلفزيونية بثتها القناة الرابعة يوم أمس في أعقاب الجلسة الختامية لمؤتمر الثمانية الذي ينهي أعماله في باريس اليوم والذي استمر خمسة أيام بُحث خلاله عملية السلام في الشرق الأوسط والملف النووي الإيراني والعدوان الإسرائيلي على لبنان والمجزرة التي ارتكبتها قوات الاحتلال في قطاع غزة، إن على إيران أن تتخلى عن برنامجها النووي.

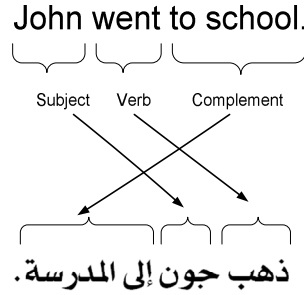
من الواضح في هذه الجملة، التي تتألف من ٥٩ كلمة، تباعد الفعل الرئيس فيها (قال) ومقول القول (أي الجملة: إن على إيران أن تتخلى عن برنامجها النووي)، إذ يفصل بينهما ٤٦ كلمة، إذا اعتمدنا عدد الكلمات مقياساً لطول الجملة. فإن شاء الكاتب أن يحتفظ بترتيب الجمل كما هي، لجأ إلى استخدام الفعل الاستئنافي (قال):

قال الرئيس الأميركي جورج بوش في مقابلة تلفزيونية بثتها القناة الرابعة يوم أمس في أعقاب الجلسة الختامية لمؤتمر الثمانية الذي ينهي أعماله في باريس اليوم والذي استمر خمسة أيام بُحث خلاله عملية السلام في الشرق الأوسط والملف النووي الإيراني والعدوان الإسرائيلي على لبنان والمجزرة التي ارتكبتها قوات الاحتلال في قطاع غزة، قال إن على إيران أن تتخلى عن برنامجها النووي.

والإضراب الاستئنافي أسلوب بياني تعتمده اللغات للإسناد عندما يشوب الكلام اضطرابٌ وخللٌ بسبب طول الجملة، كما رأينا. ولكن، للإضراب الاستئنافي شروط إن أُخل بها قُبِحَ الكلام وأصابه مزيد من الاضطراب والخلل والضعف، وأصبح ضرباً من التأتأة اللفظية والتلعثم، لأنه دخيل على اللغة العربية وغير طبيعي فيها. فهل سمعت أحدهم يقول في العامية بصورة طبيعية مثلاً (قال سعيد في الاجتماع مباح قال...) ما لم يكن يشكو من مشكلة ذهنية؟ ومن شروط الإضراب الاستئنافي طول الكلام الذي يفصل بين الاسم أو الفعل المقطوع والاسم أو الفعل الاستئنافي. فلا يجوز مثلاً القول:

قال الرئيس الإيراني أحمددي نجاد قال لمراسل وكالة الأنباء...
صرح كوفي عنان لهيئة الإذاعة البريطانية صرح بأنه بينما يمكن للإرهاب التسبب في قتل الآلاف...
نددت جامعة الدول العربية نددت في مؤتمر صحفي بالفيتو الأميركي ضد قرار مجلس الأمن...

والفعل الاستثنائي بشكل خاص هو عيب من عيوب الإنشاء وكتابة الخبر في الإعلام العربي المرئي والمسموع، يتكرر في نشرات الأخبار والتقارير الإخبارية وما شابهها، فيصرف المشاهد عن الخبر لضعف التركيب واضطراب البناء في الجملة. ومرد هذا الخلل عجز المترجمين والإعلاميين العرب عن التعامل بشكل طبيعي وواع وذكي مع الاختلاف البنيوي في اللغة الإنجليزية، من فاعل وفعل ومفعول به أو تنمة (SVC) فيها، وفعل وفاعل ومفعول أو تنمة (VSC) في العربية، إلى ما هنالك من اختلافات وفروق بنيوية واضحة، نحو، قلب المسند والمسند إليه، على سبيل المثال.



فهذا الاختلاف وما يسفر عنه من حشو وإقحام لعناصر لفظية أخرى يبعد الفعل في العربية عن المفعول به أو التتمة، فيضطر الإعلامي المترجم إلى استئناف الفعل بتكراره بشكل معيب، نحو:

قال الرئيس الأميركي جورج بوش في مقابلة متلفزة يوم أمس، قال
إن على إيران أن تتخلى عن برنامجها النووي.

US President George W Bush said in a televised interview yesterday
Iran must give up its nuclear program.

ففي الجملة الإنجليزية التي تشكل مصدر الجملة العربية يتجاوز **فعل القول** ومقول القول، أو الفعل والمفعول به أو تنمة الجملة، ولا يفصل بينهما سوى بضع كلمات، فلا تدعو الحاجة إلى تكرار الفعل (ولا شك أن هناك أوضاعاً بنيوية في اللغة الإنجليزية تتطلب اللجوء إلى الفعل والاسم والضمير الاستثنائي). أما في الجملة العربية، فيلجأ الكاتب أو المترجم إلى الفعل الاستثنائي (بلا مبرر أو مسوغ في مثالنا هذا)، تقديراً منه لبعد فعل القول عن مقول القول أو المفعول به وتنمة الجملة، أحياناً لضعف الإنشاء واضطراب التراكيب فيه، كما يتضح لنا في المثال الآتي.

قدم جون بيار بيمبا، المرشح الذي خسر في الانتخابات الرئاسية في جمهورية الكونغو الديمقراطية، قدم طعنا في النتائج المؤقتة للانتخابات أمام محكمة العليا للبلاد. تراقق ذلك مع تحرك ميداني تمثل في تظاهر مؤيدي بيمبا أمام المحكمة حيث أعلن بعضهم مواصلة تحركاتهم الميدانية حتى إقرار المحكمة العليا لما سموه (ثم يستدرك) سموها العدالة المتمثلة في إعلان فوز بيمبا رئيساً للبلاد وإلا فإن الفوضى ستعم الكونغو.

وما المهم في هذا الخبر؟ جون بيار بيمبا باسمه الثلاثي، على عادة العرب في توثيق الأحوال الشخصية، وكأن أمره سيلتبس على المشاهد الذي ربما يشرع في مطاردته لوجه في السجن لشبهة أو تهمة تخص غيره؟ أو أنه مرشح خاسر؟ أم يطعن في صحة النتائج؟ ناهيك عن أن الخبر من أساسه لا يستحق أن يكون خبراً. ففوزه أو عدمه لن يقدم أو يؤخر بالنسبة إلى المشاهد العربي.

لقد أولع الإعلام العربي المقلد بمفهوم الهرم المقلوب الذي تبنته الصحافة الغربية في بداياتها، وهو عبارة عن تسلسل الفكر من أهم فكرة إلى أقلها أهمية، نحو:

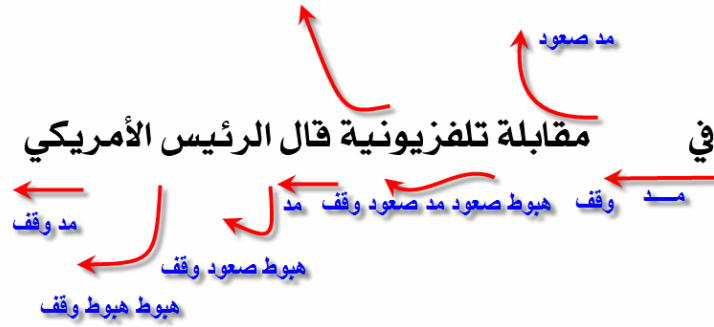
انفجرت قنبلة في وسط بغداد اليوم
أسفرت عن مقتل عشرين شخصاً وجرح آخرين، إصابات بعضهم خطيرة.
وكان من بين القتلى الذين سقطوا جراء الانفجار أربعة نساء وثلاثة أطفال
وهرعت سيارات الإسعاف إلى مكان الانفجار
وضربت قوات الشرطة العرقية طوقاً أمنياً حول المكان...
ويأتي هذا الحادث على خلفية شريط مصور...

فأهم فكرة في الخبر بالنسبة إلى معد النشرة والمشاهد بالافتراض هو الانفجار في وسط بغداد، ثم نتيجته، فحدد عدد القتلى واكتفى بأخريين من الجرحى ولم يذكر عددهم، ثم أخبرنا بأن إصابات بعضهم خطيرة، لمن يريد تفاصيل أوفى. ثم ركز على القتلى، وذكر بالانفجار مرة أخرى، وأراد إظهار مدى فظاعة الانفجار فأخبرنا بوجود نساء وأطفال بينهم. ثم وافانا برد الفعل حيال الانفجار، فهرعت سيارات الإسعاف لنقل المصابين إلى المستشفى، وطوقت الشرطة المكان. ثم انتقل إلى وضع الخبر في سياق أكبر ويأتي الحادث على "خلفية" ... وهكذا تداعت الأفكار أو الفكر من أكثرها أهمية إلى أقلها أهمية.

والتزام الإعلام بحرفية النقل كلمة كلمة وعبارة عبارة وجملة جملة، لا يحيد عنه قيد أنملة ولا يعدل فيه بما يستوفي شروط اللغة العربية يفقد في بعض الأحيان هذا الهرم المقلوب هرميته المقلوبة وأهميته بسبب اختلاف البنية ويصبح مطلع الخبر ضرباً من الحشو بعد الإضراب والاستئناف، كما بينا في الأمثلة السابقة.

ومما لا شك فيه أن صياغة الخبر في مجال أو وسط إعلامي مرئي مسموع تقتضي الإيجاز والاقتضاب. فالمشاهد لا يستطيع تتبع النص بقراءته بصرياً والعودة إلى ما فاتته إن هو فقد التسلسل والربط بين ما تقدم وما تأخر من الكلام، بل يعتمد اعتماداً كلياً على ما يسمعه من المتكلم، وبذلك يفقد التركيز والانتباه بسبب طول الجملة وتباعد أجزائها الأساس، لاسيما وأن مجال الانتباه (attention span) قصير في هذا الوسط التواصلي بسبب كثرة صوارف الانتباه (distracters)، كالألوان والضجيج والصور المتحركة — إضافة إلى العبء أو الحمل البياني (information load)، وسرعة الإلقاء والجرس والموسيقى والأوزان التي تتحكم في سرعة الكلام، كالإكثار من الممنوع من الصرف (والخطأ فيه أيضاً)، والمعازلة اللفظية التي تثقل اللسان، والمركبات اللفظية، والفصل بين المتضامين أو الإكثار منه بلا مبرر أو مسوغ، ورفض النعوت، والقلب والتقديم والتأخير المتكلف لغير ذي فائدة، والمراوغة والالتفاف الخ. وهي عوامل تستنفذ التحليل البصري والسمعي والحركي ومجمل العمليات الذهنية التي تستنفذ القدرة على التركيز مدة طويلة. لذا يضطر الكاتب إلى اعتماد الفعل الاستئنافي، لعدم القدرة على تعديل الجملة بما يسهل نقلها إلى المشاهد أو المستمع، فيقع في الخطأ.

وللفعل الاستئنافي وظيفة وطرائق متنوعة في الإنشاء والبلاغة في اللغة بمعزل عن الترجمة والتأثر باللغات الأخرى أثناء الترجمة أو من خلال الاحتكاك والتفاعل بينها. ولكن الإكثار من هذا الأسلوب، لاسيما حيث لا يفصل بين أجزاء الكلام سوى كلمة أو كلمتين، يصيب الكلام بالاضطراب والضعف والركاكة والغباء، وبخاصة لأن المذيع يتتبع الآلة الملقنة التي تعرض النص أمامه كلمات معدودات متقطعة ومتباعدة، فيتقطع كلامه بحسب سرعتها وتوزيعها للنص، ويفقد الإلقاء تماسكه وتناغمه وتنغيمه السليم الذي يؤدي معنى الكلام، والذي من شأنه أن يعوض عن تكرار الفعل أو اعتماد الفعل الاستئنافي، إن وجد. فتسمع مديعة تقول في صعود وهبوط:



في العربية أساليب أخرى للربط والحبك، كانت تستخدم في الصحافة المطبوعة في القرن الماضي قبل أن تنقطع السلالة المعرفية وينتشر الجهل والغباء ويتولى المتأخرون، لاسيما الذين درسوا اللغة الإنجليزية في كليات الصحافة والإعلام في وقت متأخر في السنوات الإعدادية والتحضيرية و"الصفمريّة (sophomore)"، مسؤولية إعلام الناس وإخبارهم وإيلاهم بجهلهم وحمقتهم، نحو: (في مقابلة متلفزة، صرح الرئيس الأميركي جورج بوش قائلاً)، أو (في مقابلة متلفزة، قال الرئيس الأميركي جورج بوش مصرحاً)، الخ دون اللجوء إلى تكرار الفعل. ولكن التصاق المترجمين الإعلاميين بحرفية الكلام بشكله ونهجهم الفسيفسائي، يضطرهم إلى اللجوء إلى الفعل الاستنفاي، فيضعف ذلك من متانة الجملة. ولنا في هذا بحث مطول في اللغة الإنجليزية.



جميع حقوق الطبع والتأليف محفوظة للمؤلف

Copyright © 2006 Ali Darwish.

Translation Monitor™ is an electronic bulletin published by Ali Darwish.

All Rights Reserved.

Any resemblance in the narrative or illustrations to real people is purely coincidental.

This publication is protected by copyright and intellectual property laws and must be treated like any other publication. No part of this publication may be copied, duplicated, or reproduced, in part or in whole, by any means (except for bona fide study purposes in accordance with the copyright laws) without the prior consent of the Author.

Copyright © 2006 Ali Darwish.

Translation Monitor™ is an electronic bulletin published by Ali Darwish.

All Rights Reserved.